هدم البيت

مفتتح ..

"عندي كل شيء أيها السادة، نسور، أعقاب سجائر ، نشارة خشب، صفائح فارغة، وعندي شعوب هادئة وساكنة كالأدغال يمكن استخدامها في المقاهي والحروب وأزمات السير"
(الشاعر: محمد الماغوط)
- ربنا يهدى ..
قالها عمدة البلد وهو يهم بالخروج من البيت ؛ بعد أن باءت كل محاولاته بالفشل ؛ من أجل بناء جسر من التواصل للصلح فيما بينهما .. أغلقت الست (فداء) بابها؛ بعدما ابتلعتها موجة من الحزن حائرة جلست تفكر للمرة الـ(...) في أمر ولديها التوأمين (فتحي) و(حمادة) ، كل منهما يريد فرض آرائه على الآخَر بصوته الجَهْوَرِي ، أو بالقوة ، لقد خيل لكل منهما أنه الكبير ، ولذا من حقه أن يقود أمور البيت ، بل وصل بهما الأمر أن يرمى أحدهما الآخَر بإهانات عدة ؛ حتى وصل بهما الحال لتكسير أثاث البيت ، ذلك البيت الذي شيدته الست (فداء) ومعها زوجها (ياسر) - رحمه الله - يداً بيد ، رغم أن الأرض التي بنى عليها ذلك البيت هي الوحيدة التي لم تبع مثل باقي الأراضي المجاورة ، ورغم حقد الحاقدين بسبب بناء البيت لعلمهم بفقرهما ، وفى ظل ارتفاع الأسعار ، إلا أن البيت شيد ،

ووقف شامخاً في وجه الأعداء ، وراحت الست (فداء) تملأ البيت عن آخره بالأولاد كما طلب منها زوجها ؛ حتى تكبر وتثمر شجرة العائلة .. في همس شديد راحت الست (فداء) تحدث نفسها :

- ما ذنب باقي الأبناء الذين انقسموا إلى فريقين ، فريق يقف لمساندة (فتحي) والفريق الآخَر لمساندة (حمادة) وكل يوم يتساقط مصابون من الجانبين من جراء المعارك الجارية بينهما بالأيدي والأرجل ، ترى ماذا أفعل بعد أن (غزاني) وأقعدني المرض اللعين ..؟!! ، وبعد أن فشلت كل محاولات الأقارب والأحبة الذين استدعيتهم من مشارق الأرض ومغاربها - كوسطاء- لإقامة حوار تفاوضي من أجل الصلح فيما بينهما ، أقسم أنى لن أدعهما يهدمان البيت ، ولن أرضخ لطلبهما في تقسيم البيت إلى نصفين ، آه ه ه ه ه ه

أخرجتها الست (فداء) طويلة من أعماق .. أعماق قلبها وأردفت قائلة :

- رأسي يوشك على الانفجار ..

ريموت التلفاز القابع بجوارها يناديها في صمت ، أمسكت به ، صوبته نحو التلفاز ، خرجت كلمات المذيعة حزينة عبر نشرة الأخبار :

- (تساقط عشرات القتلى والجرحى إثر الخلاف القائم بين جماعتي فتح وحماس) في ضيق أغلقته، امتدت أصابعها نحو عكازها الخشبي ، استعانت به على الوقوف، راحت قدماها تخطوان خطوات بطيئة متثاقلة، وهى تحدث نفسها في حزن وقوة :

- المرحوم (ياسر) لم يضعف ، ولم يستسلم طيلة حياته، ويجب أن أكون كذلك ،علىَّ أن أنام ؛ لأريح عقلي؛ حتى أصل إلى حل .